مقالة بحثية

الأيقونولوجيا وتناول الرموز فى معبد دندرة كمدخل لإثراء مجال التصميم (دراسة تحليلية)

* نيهال محمد توفيق مختار
* الدارسة بمرحلة الماجستير، قسم التصميمات الزخرفية، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان .
البريد الإليكتروني: nehaltawfek10@gmail.com

تاريخ المقال:

- تاريخ تسليم البحث الكامل للمجلة: 22 ديسمبر 2021
- تاريخ القرار الأول لهيئة التحرير: 13 يناير 2022
- تاريخ تسليم النسخة المنقحة: 28 فبراير 2022
- تاريخ موافقة هيئة التحرير على النشر: 06 مارس 2022

الملخص:

يتميز معبد دندرة بأنه أحد أشهر المعابد الموجودة في مصر التي ما زالت محتفظة برونقها، بيتميز المعبد بكم هائل وفريد باللوحات والنقوش والرموز على جدرانه تحمل دلالات ومعانى متعددة، كان للرمز الذى اتخذه الفنان المصري القديم فى معبد دندرة لغة خاصة للتعبير عن تأملاته في الحياة، حيث تحمل مفردات هذه اللغة تميزاً خاصاً وثراءاً لذلك الفنان الذي تميزت أعماله بذوبان الفاصل بين الواقع والخيال، ووجود أشكال ورموز تطورت عبر التاريخ وحملت معاني مختلفة وباعتبار الفن المصرى القديم مصدراً جديراً بالبحث والدراسة تم دراسة أنظمة الأشكال والرموز الموجودة فى معبد دندرة من خلال العملية التصميمية من منظور علم الأيقونولوجيا ودرجات الأيقنة التي يتبعها الرمز وما يتبعها من تأويلات ودلالات متعددة، لتتيح التعرف على أنماط توظيف الرموز تبعاً للمعنى الكامن خلف تلك الرموز ودلالاتها، واستغلال هذه الرموز ومميزاتها لمعانيها المنضوية في إنتاج أعمال فنية تحمل روح الأصالة في ذات الوقت الذي تعبر فيه عن مقومات ومعطيات وإحتياجات العصر الحديث وتمكن فنان العصر الحديث أن يقدم تفسيراته الذاتية لتلك الرموز حسب السياق والمعنى المضموني العام وتبعاً للنسق التصميمي المنتمي إليه الرمز بتقديم حلولاً ومداخل حديثة للرموز تثرى العملية التصميمية وتتناسب مع متطلبات العصر الحديث.

الكلمات المفتاحية: الرموز، معبد دندرة، التحليل الأيقونولوجى.

مقدمة:

يتناول هذا البحث دراسة تحليلية للرمز الذى اتخذه الفنان المصري القديم فى معبد دندرة كلغة خاصة للتعبير عن تأملاته في الحياة، حيث تحمل مفردات هذه اللغة تميزاً خاصاً وثراءاً لذلك الفنان الذي تميزت أعماله بذوبان الفاصل بين الواقع والخيال، ووجود أشكال ورموز تطورت عبر التاريخ وحملت معاني مختلفة واستطعنا نحن الان، عن طريق الدراسة التحليلية لأيقونولوجيا الرمز أن نتوصل إلى تفسيرات لمعاني هذه الرموز، وأن نستغل هذه الرموز ومميزاتها لمعانيها المنضوية في إنتاج أعمال فنية تحمل روح الأصالة في ذات الوقت الذي تعبر فيه عن مقومات ومعطيات وإحتياجات العصر الحديث وتمكن فنان العصر الحديث أن يقدم تفسيراته الذاتية لتلك الرموز ويقدم لها حلولاً تتناسب مع متطلبات العصر الحديث.

يتم ذلك عن طريق عملية التحليل الأيقونولوجى فهي عملية تتأرجح بين كونها تحدد المعنى حين تكون مؤشرة بشكل مباشر على موضوعاتها، وبين كونها ترسم صورة للمعنى، حين تكون محيلة بفضل الإيحاء الافتراضي على موضوع ما، حيث تستطيع في تفسير الأعمال الفنية أن تجعل تحديد المعنى الظاهر، المساير للسياق التي تؤشر على الموضوع الظاهر، مدعماً بدلالات أخرى، غالباً ما تكون موضوعات أدلتها الوصفية أيقونات تتطلب من المتلقي استنباطها، فالرموز الموجودة فى معبد ندرة من الرموز التى يصدق عليها شكل البناء الدلالى السابق، قد تحقق لها ذلك بفضل أشكال الرموز ومدى ترابطها بالسياق العام للجداريات الموجودة فيه، فالتحليل الأيقونولوجى هنا سيركز على الدلالات الأيقونية للرموز والسياقات الكلية التى تنتمى إليها.

ويتناول البحث المحاور الآتية:

تعريف الرمز ، أنواع الرموز عند المصري القديم ، كما يتناول تعريف علم الأيقونولوجيا، نشأة و بدايات ظهور علم الأيقونولوجيا، التعريف بمعبدة دندرة ومكان تواجده ونشأته، يستعرض بعض الرموز الموجودة فى معبد دندرة وأنواعها، الأيقونولوجيا وتناولها الرموز فى معبد دندرة، دراسة تحليلية أيقونولجية لبعض الرموز الموجودة فى معبد دندرة.

أهم الأهداف التى سوف يتناولها هذا البحث هى دراسة الرموز فى معبد دندرة، والتوصل إلى مداخل وأشكال توظيف جديدة للرموز تثرى العملية التصميمية.

مشكلة البحث :

لاحظت الباحثة أن بعض الأعمال الفنية التى تتناول الرموز في الفن المصري القديم تعتمد على اختيار الرموز ظاهرياً خارج سياقها حيث يختلف معناها الدلالى عند المصرى القديم تبعاً للسياق العام للموضوع ،مما دعا الباحثة لاختيار موضوع هذا البحث الذي يتناول الأيقونولوجيا كعلم يختص بدراسة الرموز وتصنيفها وما يتبعها من تأويلات ومعانى ودلالات بحيث يستفاد منها فى الكشف عن مدخلات جديدة للتجريب فى مجال التصميم

فروض البحث:

تفترض الباحثة إنه:

من خلال التحليل الأيقونولوجي للرموز في معبد دندرة يمكن استخلاص مداخل جديدة ثرى مجال التصميم.

أهداف البحث:

- تناول الأيقونولوجيا وأهميتها الوظيفية والجمالية فى دراسة الرموز بمعبد دندرة.
- التوصل إلى البعد الدلالى للرموز الموجودة فى معبد دندرة.

أهمية البحث:

- إلقاء الضوء على معبد دندرة لما يحتويه من رموز متعددة التأويلات.
- الكشف عن آفاق جديدة ومتنوعة ومستحدثة فى مجال التصميم.
- اكتساب الفن المعاصر طابعاً مميزاً يستمد أصالته من الرموز الموجودة فى معبد دندرة وارتباطه بالجذور.

حدود البحث :

حدود موضوعية: اقتصرت الدراسة على تناول الأيقونولوجيا والبعد الدلالي للرموز فى معبد دندرة.

حدود مكانية: معبد دندرة (حتحور) تابع لمركز قنا في محافظة قنا .

حدود زمانية: تقتصر هذه الدراسة على الفترات الزمنية لبناء المعبد2250ق.م فترة انشاء المعبد ثم1500 ق.م وأخيراً343ق.م.

منهجية البحث :

يعتمد البحث على المنهجين و الوصفى التحليلى لتحقيق أهدف البحث والإجابة عن فرضه من خلال اتباع الخطوات التالية:

<u>الإطار النظري :</u>

1. أهمية التراث المصرى القديم كمدخل يمكن الاستلهام منه فى أثراء العملية التصميمة.

2. دراسة مفهوم الرمز عند المصرى القديم وأنواعه.
3. دراسة مفهوم علم الأيقونولوجيا والمراحل التى يمر بها من أجل التحليل الأيقنولوجى للرمز.
4. عرض وتصنيف لمختارات من رموز الفن المصرى القديم وكيفية الأستفادة منها فى اثراء العملية التصميمية.

مصطلحات البحث :

الرمز:

"عرف معجم مصطلحات الأدب بأنه كل ما يحل محل شئ آخر فى الدلالة علية لا بطريقة المطابقة التامة و إنما بالإيحاء أو بوجود علاقة عرضية أو متعارف عليها،وأصل مادة الكلمة فى اليونانية (sumbolan) التى تعنى الحرز أو التقدير وهى مؤلفة من(Sum) بمعنى مع و(Bolien) بمعنى حرز".[1]

"وعرفت االموسوعة البريطانية (الرمز)بأنه يعطى لشئ مرئى يمثل للعقل تشابهاً غير واضح ولكنه يتحقق بالمشاركة معه وبذلك يصبح الرمز يتميز بتنوعه فقد يعبر الإنسان برموز مختلفة عن شئ واحد".[2]

"فهو يعبر عن الدلالة الشكلية الممثلة للحادث المعبر او الواقع في العمل الفني،فله مفاهيم ومعاني

عديدة حيث هو تبسيط لفكرة معينة موجزة وواضحة تصاغ في العمل الفني بحيث تحمل المعني للمشاهد ويمكن اعتباره جزء يقوم مقام الكل.

التحليل الأيقونولوجي:

"إن التحليل الأيقونولوجيا مستمد من توليف مجموعة من الرموز بدلاً من التحليل المبعثر وتفحص المعنى الرمزي أكثر من الأهتمام بقيمتها الاسمية عن طريق التوفيق بينه وبين سياقه التاريخي وعمل الفنان"[3]،" فهي تتيح للفنان استخدام الرموز بحزم الكثير من المعلومات في مساحة صغيرة،كما أنه يمنح الفنان المرونة "للتلميح إلى بعض المعانى الكامنة للإشارة إلى شيء ذي معنى بالنسبة للفنان".[4]

هي دراسة المعنى الموجود داخل الرموز و الصور والقصص ،حيث إنه يقوم بتحليلها ،حيث من خلالها بيتم

التعبير عن ميول العقل البشري بمواضيع محددة بسبب ظروف تاريخية مختلفة،علاوة على ذلك عند فهم العمل الفني كوثيقة لحضارة معينة،يصبح العمل الفني من أعراض شيء آخر،يعبر عن نفسه في مجموعة متنوعة من الأعراض الأخرى وتفسير هذه القيم الرمزية الموجودة فى العمل الفنى،والتي يمكن أن تكون غير معروفة أو تختلف عن نية الفنان،فالأيقونولوجيا لم تكن هي التحقيق الفعلي لأعمال الفن بل كانت نتيجة هذا التحقيق".[5]

ولتحقيق هدف البحث والتحقق من صحة فرضه يتم تناول المحاور البحثية الآتية:

الرموز فى الفن المصري القديم:

يعد الفن المصري القديم الخلفية الحضارية التي تستند إليها كل الفنون التي أتت بعده على أرض مصر، كما يعد معجماً للرموز والأشكال، فهو المنبع الخصب الذي لا ينضب، حيث يستلهم منه الفنانون والمصممون الأشكال والرموز والأيقونات، والموضوعات والقصص والأساطير والمضامين الفلسفية والفكرية، وذلك بهدف ربط الماضي بالحاضر.

فالتراث المصري القديم غني بالأشكال والرموز، حيث برع الفنان المصري القديم في صياغاتها وكيفيات توظيفها حسب بعدها وتأويلها الدلالي، فقد استخدمها للتعبير عن افكاره ومعتقداته والتعبير عن الظواهر المرئية، وقد استخدمها أيضاً استخداماً متنوعاً متميزاً بالأصالة والتفرد نتيجة أسلوبه الخاص في طرق الاعتماد عليها بشكل واضح في شتي مناحي الحياة.

ويعد الرمز من العناصر المهمة التي لاقت اهتماماً كبيراً من قبل الدراسات والبحوث الفلسفية والعلمية والفنية والسيكولوجية والفسيولوجية وذلك لما له من تأثير واضح وفعال في حياة الإنسان وتوجهاته، وقد استفاد الفنان بصفة خاصة من نتائج هذه الدراسات عبر عصور تاريخ الفن التشكيلي مؤكداً أهمية الرمز وما يتمتع به من أبعاد ودلالات متعددة تساعد الفنان في تحقيق هدفه وتوصيل رسالته من خلال عمليات التأويل الدلالي وتداعيات المعنى.

تعريف الرمز:

"الرمز كمصطلح عام هو أي شئ يحيل إلي أي شئ آخر أو يقوم مقامه أو يدل عليه، فالرمز هو شئ له وجود حقيقي مشخص ولكنه يرمز إلي فكرة أو معني مجرد، فالجعران يرمز إلي التجدد والحياة، والثعبان يرمز إلي الإله في بدء الخليقة".[6]

1عساف الذهبى سيكلوجية الرمز،مجلة علم النفس ،مجلد الرابع،العدد الثالث،فبراير 1949،ص356.

2 Encyclopedia brilannica,William Benton,published,London,1973,P4,490.

3 https://www.askdifference.com/iconography-vs-iconology/

4 http://www.biddingtons.com/content/pedigreeicon.html

5 https://en.wikipedia.org/wiki/Iconology

6 www.eparanm.org.com

"أي أن الرمز (...) هو كل شئ يمثل شئ أخر أو يحل محله بحيث تكون العلاقة بين الأثنين هى علاقة العام بالخاص أو المحسوس بالمجرد وذلك من خلال عملية تداعى المعنى"والجدير بالذكر أن الرمز قديماً انبثق من فكرة هامة ألا وهي الثنائية في نظرته إلي العالم الخارجي المحيط به فهو يري الثنائية متجسدة فى الليل والنهار والقمر والشمس فارتأى المصري القديم أن يقسم العالم الخارجي إلي قسمين رئيسين:

القسم الأول: العالم الظاهري الواقعي المرئي يدرك بالعين المجردة.

القسم الثاني: العالم الداخلي الغير مرئي المرتبط بهواجس الانسان ومشاعره وما يدرك بالاحساس والوجدان وهو مزيج من عالم الغيبيات وما وراء الطبيعة".[7]

وهذه الثنائية هي التي خلقت الرمز (وترجمه الفنان حسياً لعملية الإستعاضة جعلت العناصر الفكرية الغير حسية تحل محل العناصر الحسية وهكذا تحولت الصورة بالتدريج إلي لغة رمزية تتخذ شكلاً تمثيلاً ذا صياغات وحلول فنية فاصبحت وسيلة لتخزين أو حفظ التجارب الحسية البسيطة العابرة لكي تكتسب صفة الدوام.

أنواع الرموز عند المصري القديم:

1) رموز اصطلاحية: وتعني نوعاً من الإشارات المتعارف عليها كالألفاظ باعتبارها رمز لدلالتها.
2) رموز إنشائية: و يقصد بها نوعاً من الرموز التي لم يسبق التوصل إليها ومنها:
3) رموز طبيعية: هي رموز تستمد عناصرها من الطبيعة ولكن لا كما هى بل ترد الي الذات لتنشأ علاقات جديدة مشروطة بالرؤية الذاتية للفنان.

رموزكتابية:هي رموز اصطلاحية مجردة كالكتابة الهيروغليفية، استخدمت كنمط للكتابة لتسجيل الأحداث والنصوص الدينية على جدران المعابد والمقابر.

تعريف علم الأيقونولوجيا:

والأيقونولوجيا هي علم يعتمد على ترميز الصور والأشكال والرموز التي خلفها الماضي وربطها بالدلائل، وقد قدم هذا العلم إرفين بانوفسكي في كتابه (بحوث في الأيقونولوجيا) وذكر بعض من مراحل تأمل الصور وبخاصة الصورة الفنية"وقد ميز بانوفسكي ثلاثة مستويات في تأويل العمل الفني وهي:

1."الوصف ما قبل الأيقونوغرافي الذي يعرض الحوافز بمعزل عن دلالاته.
2.التحليل الأيقونوغرافي الذي يحلل الدلالات المعرفية في سياق معين.
3."التأويل الأيقوني الذي يتجاوز تعرف الموضوعات ويتساءل عن العمل الفني بصفته عرضاً،بصفته شاهداً على القيم الرمزية للحضارة".[8]

فالتحليل الأيقونولوجي هو الذي يفتت الصور إلي عناصرها الأولي ويعيد تركيبها وصولاً إلي المعنى الكامن خلف الصور،والتركيز علي الدراسات البينية التاريخية والثقافية والفنية في رصد الظواهر بشكل تكاملي.

وقد عرف (محسن عطيه) التحليل الايقونولوجي على إنه : "دراسة للمستوى المجازى أو مستوى التناول للصورة على أساس أنها رمز يعكس ثقافة المجتمع ،لان الرؤية الوصفية المباشرة للرمز ولاحتى المعرفية تكفى لتفسيرها، فإن العمل الفنى الذى يجمع ما بين صورتين فى معنى واحد يستحضر طاقات أكثر مما تُقدمه المعرفة والبصر وحدهما".[9]

فإن التعامل مع مفهوم التحليل الأيقونولوجى فى تحليل الأعمال الفنية بشكل عام والرموز بشكل خاص يفرض فى تحليلها الابتعاد عن المفهوم السطحي أو المباشر، فهو علم يسعي لرؤية واكتشاف المغزى والدلالة العميقة الخفية في الظواهر الفنية والجمالية للرموز، فتكون أبعد من مظهرها الحرفيّ الخارجيّ.

ويمكننا بواسطة التحليل الأيقونولجى الوقوف على أهمية ما وراء العالم البصرى للرموز الموجودة فى معبد دندرة للوصول إلى معانيها ودلالاتها، لأن كل رمز يتميز بنسق أيقونى خاص به قد يجعله يصل إلى المعنى من أقرب طريق له.

فالرمز الأيقوني فى معبد دندرة هو نمط لصورة يضع الفنان المصرى القديم مفاتيحها، لتصوير مقتربات ذلك الرمز بالبحث عن الغائب الذى أخفاه الفنان فى الرمز،لأن وجود علامة أو أثر يدل على المغَيب يجعله محط اهتمام ومنتظر يخضع للبحث والتقصى عن الدلالات المرتبطة به ويجعل المخيلة نشطة ويثير صراعاً ذهنياً لدى المتلقى لرصد أى أثر يؤدي إليه.

7 ريما عبد الرحمن شكري: "توظيف الرموز الأسطورية الفلسطينية في بناء التصميمات للفن التشكيلي الفلسطيني المعاصر"،رسالة ماجستير،كلية التربية الفنية،جامعة حلوان،2007،ص103

8 l'image medieval, naissance et vie'-xve' sie'cles, Me'ridiens de'veloppements klincksieck,Jean wirth,1989

9 محسن عطيه،التفسير الدلالى للفن،عالم الكتب،2007.

و بما أننا نعيش عصر الصورة، فالصورة عند الفنان تنقسم إلى وجهتين أساسيتين وهي الصورة التي تبصرها العين والثانية التي تراها الروح بالتحديد التي ينقلها الفنان من خلال العين ويدمجها في الصورة الخيالية لكي يجسدها على مساحة أو على ورقة لتصبح ذات معنى أو تحمل قضية ما..

"فالصورة لا تكون ذات تأويل دلالي إلا برمزيتها،والرمزية في أبسط معانيها إنما تتمثل في الانتقال من معنى أول إلى معنى ثاني، وهي لا تفهم في مجال المتخيل إلا بوصفها كياناً لا مرئياً في المقام الأول يتصل متين الاتّصال بما في الإنسان من رغبات ومطامح"[10].

"والتأويل الدلالي هو عبارة عن إعمال الفكر الذي يتكون من فك المعنى المختبئ في المعنى الظاهر،ويقوم على نشر مستويات المعنى المنضوية،فالرمز والتأويل متصورين متعالقين: اذا ثم تأويل هنا حيث يوجد معنى متعدد،ذلك لأن تعددية المعنى تصبح بادية فى التأويل"[11]، ويرتبط مصطلح التأويل ارتباط وثيق بمصطلح التفسير حيث حاجة المؤول أن يكتفي بتفسير الشئ،لأنه يبحث عن ما هو أولي في الشئ وعن أصله لأن همه الأول هو إزالة الغموض لذا فالنشاط التأويلى يعتمد التفسير بوصفه آلية تمكنه من استكناه المراد من الرمز.

نشأة الأيقونولوجيا:

كان علم الأيقونات منذ المراحل الأولى التكوينية متشابكاً بشكل وثيق مع دراسة الفن القديم، هذه العلاقة تميز علم الأيقونات عن باقى العلوم الآخري، باعتباره الفن القديم نقطة مرجعية أساسية للمساعي الفنية التاريخية،[12] وقد لاقى هذا العلم انتقاد كبير فى مراحله المبكرة،بسبب محدودية التحليل الأيقوني لانه يركز على مضمون العمل الفني وعدم اهتمامه بالشكل أو الأسلوب.

وكانت بدايات علم الأيقونولوجيا من إيطاليا حيث قدمت في نهاية القرن السادس عشر أولى الدراسات العلمية في التصنيف (الأيقونولوجي) علم دراسة الصور - (الأيقونوجرافي) رسم الصور ، والتي ظهرت جميعها في غضون 25 عاماً من بعضها البعض وتتضمن تلك الدراسات كتاب آندريا ألشياتي "إمبليمنتام ليبر في أوغيسبيرج عام 1531 (Augsburg Andrea Alciti' s ، 1531) Emblematuma libber ، وكتاب بيريو فالنتينو هيروغليفيكا Basel Valeriano's Hieroglyphic , (1556 ,).

"نشرت لأول مرة دراسته في " الأيقونولوجيا " في (1593) لقيت إشادة كبيرة وشملت وصفاً لأكثر من(1250) رمز و تجسيد ، كل منها مفسر بالتفصيل كدليل للفنانين والكُتاب والمؤلفين والرسامين في تلك الأونة ، موصوفة دائماً التجسيدات فيما يتعلق بالأشكال البشرية حسب ما تعزو إليه وبأوضاعها المرسومة بوضوح ، ويعد هذا القاموس نموذجاً موضوعياً للصور المرئية بدرجه كبيرة ، فقد رسم "ريبا" نطاق واسع من التمثيلات الموجودة دون وجود تلك السوابق الزمانية ، وتكونت أشكال وتراكيب توضح كيف يجب تصويرها ".[13]

معبد دندرة:

يعتبر معبد دندرة أحد أشهر المعابد الموجودة في مصر التي ما زالت محتفظة برونقها، فشُيد المعبد لعبادة الإلهة "حاتحور" إلهة الحب والجمال والأسرة عند القدماء المصريين،يتميز المعبد بفن معماري فريد وغني باللوحات والنقوش ،كما توجد على جدرانه رموز وكتابات هيروغليفية،وتغطي الجدران والأعمدة تماثيل محفورة بالغة الدقة، كما يتميز المعبد بمناظره الفلكية التى تزين أسقفة التى تعتبر تحفة إبداعية ،ويقع المعبدعلى الضفة الغربية للنيل على بعد حوالي خمسة كيلومترات إلى الجنوب من محافظة قنا،ويرجع تاريخ إنشاءه للعصر اليونانى الرومانى، حيث تعاقبت عليه أيادي البنائين بداية من عصر الأسرة الحادية عشرة ثم عصر البطالمة، واستمر بناؤه خلال العصر الروماني بإلحاق مباني أخرى وحتى في العصر المسيحي.

رموز معبد دندرة:

تعددت وتنوعت الرموز فى معبد دندرة كما فى (الشكل_4،3،2،1) ومنها مقل العين،التى لها عدة تأويلات مثل "الصرامة والوضع المثالي والنظام والأستقرار"[14] و عند دمجها مع رمز الحية الكبرى فأصبحت رمزاً للقوة المدمرة وعند استخدامها فى نسق آخر ضمن سياق الأسطورة العقائدية الأزورية فتغير تأويلها الدلالى وأصبح رمزاً لانتصار الخير على الشر والشفاء والصحة كما أنها رمزاً لجلب

10بسّام الجمل ، باسم المكّي ، رؤوف دقّق : الرمز والصورة وأنتاج المعني , بحث مؤتمر دولي, كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بصفاقس, جامعة صفاقس ,.تونس,2018 .

11 بول ريكور:صراع التأويلات،ترجمة منظرعياشي،دار الكتاب الجديدة المتحدة،1969 .

12 Katharina Lorenz(2016),Ancient mythological images and their interpretation,University of Nottingham, Cambridge University Press.

13 http://science.jrank.org/pages/9725/Iconography-Historical-Development.htm

14https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%8A%D9%86_%D8%AD%D9%88%D8%

الحظ السعيد أما "العين الدامعة هى رم الإله الذى خلق البشر من دموع عينه.[15]

والثعبان له عدة تأويلات أيضاً مثل "رمزاً للأرض لأنه يغيب فى باطنها عدة مرات فى اليوم ويبقى بها كل الليالى وحركته الموحية على الأرض تمثل الانصهار فيها،وأتخذ رمزاً للمعرفة وللحكمة "[16]،كما رأوا فيه رمزا لأشد الكائنات الألهية خطراً على منظومة الكون كله،فهو رمز قوى الفوضى الكامنة فى مياه الأزل،واستخدم كرمز للحماية من الأرواح الشريرة.

كما تعددت تأويلات رمز مفتاح الحياة حيث استخدم كتميمة ترمز لمعنى"الحياة والبعث بعد الموت والخلود ولذلك فهي تعويذة لها قوة أكثر من أي قوة أخرى،وهي تجلب الحظ ومباهج الحياة الأبدية في الدنيا والأخرة".[17]

وكان يستخدم بمفرده،أو مع اثنين من الطلاسم الأخرى كرمز جديد للقوة والصحة وكانت أيضاً المرآيا تصنع من معادن على شكل مفتاح الحياة وتصقل بالذهب و النحاس كرمز للشمس.

كما أن لرمز الجعران تأويلات ألا وهى"رمز لتحمى صاحبها من الشرور سواء أموات أو أحياء"[18]،وكان وثيق الصلة بفكرة الخلق فأتخذ رمزاً للخلق والنشوء وصنعوا منه التمائم كرمز للتجدد والأستمرارية واستخدم كتمائم و كرمز لجلب الحظ.

(الشكل_1)عين حورس معبد دندرة ،مصر

(الشكل_2) نقوش لرمز الثعبان من سقف معبد دندرة

(الشكل_3) نقش بارز لمفتاح الحياة على أحد جدران معبد دندرة

(الشكل_4) تصوير جدارى لرمز الجعران على أحد أسقف معبد دندرة

الأيقونولوجيا وتناول الرموز:

وبناءاً على تلك الرموز التى تم ذكرها وغيرها الموجودة فى معبد دندرة، سوف يتم معرفة الاتجاه الفكرى والفلسفى الذى يقصده الفنان المصرى القديم عند صياغة رموزه عن طريق علم الأيقونولوجيا للوصول إلى الجانب اللامرئى منها، وتفسير وتوضيح دلالات الرموز وأفكار الأعمال الفنية إلى الجمهور الذين كان من الصعب عليهم فِهم محتوى الرموز للتعرف على معلومات خاصة بهذا العصر الزاخر، فالأيقونولوجيا تسهم فى تعلم قراءة الصور وقضايا السياق والخبرة وتفسير الرمز فنحن بحاجة إلى محو الأمية البصرية للوصل من خلالها إلى مراحل أعمق وأرقى لمعانى الرموز والكشف عن معانى صور الماضى والحاضر والمستقبل وتتبع وتعقب المعنى وتاريخ هذه الصور والوصول إلى الرسائل التى تحملها الرموز من فكر الفنان المصرى القديم ومشاعره الوجدانية والرسائل المحملة بالمعانى المعرفية لتوضيح الأفكار والتوجهات فى تلك الحقبة سواء كانت دينية أو اجتماعية أو نفسية أو تاريخية، للتوصل إلى تفسيرات لمعاني هذه الرموز، وأن نستغل هذه الرموز ومميزاتها لمعانيها المنضوية في إنتاج

15 رضا إبراهيم يوسف أبو الديب:"التوظيف الجمالى لشكل العين كدلالة رمزية فى الفن المصرى القديم كمدخل لإثراء مجال التصميم"،رسالة ماجستير،كلية تربية فنية،جامعة حلوان،2003،ص،91،6،5.

16 سيد عبد السلام السقا:"رموز الفن المصرى القديم كمدخل لأستحداث صياغات تشكيلية فى مجال النسيج اليدوى"،رسالة ماجستير،كلية تربية فنية،جامعة حلوان،2007،ص6.

17 http://mustafa-66.blogspot.com/2017/08/blog-post_15.html

18 وائل سيف الدين فريد رمضان:"مزج أشكال الكائنات فى الفن المصرى القديم والمعاصر(دراسة مقارنة)،رسالة ماجستير،كلية تربية فنية،جامعة حلوان،2000،ص37.

أعمال فنية تحمل روح الأصالة في ذات الوقت الذي تعبر فيه عن مقومات ومعطيات وإحتياجات العصر الحديث وتمكن فنان العصر الحديث أن يقدم تفسيراته الذاتية لتلك الرموز ويقدم لها حلولاً حديثة تناسب مع متطلبات العصر الحديث.

يتم ذلك عن طريق عملية التحليل الأيقونولوجى فهي عملية تتأرجح بين كونها تحدد المعنى حين تكون مؤشرة بشكل مباشر على موضوعاتها، وبين كونها ترسم صورة للمعنى، حين تكون محيلة بفضل الإيحاء الافتراضي على موضوع ما، حيث تستطيع في تفسير الأعمال الفنية أن تجعل تحديد المعنى الظاهر، المساير للسياق التي تؤشر على الموضوع الظاهر، مدعماً بدلالات أخرى، غالباً ما تكون موضوعات أدلتها الوصفية أيقونات تتطلب من المتلقي استنباطها، فالرموز الموجودة فى معبد ندرة من الرموز التى يصدق عليها شكل البناء الدلالى السابق، قد تحقق لها ذلك بفضل أشكال الرموز ومدى ترابطها بالسياق العام للجداريات الموجودة فيه، فالتحليل الأيقونولوجى هنا هيركز على الدلالات الأيقونية للرموز والسياقات الكلية التى تنتمى إليها.

دراسة تحليلية أيقونولجية لبعض الرموز الموجودة فى معبد دندرة:

رمز مفتاح الحياة:

الوصف:

يتمثل فى الشكل رقم (5) رمز مفتاح الحياة أو العنخ هو رمز هيروغليفي مصري قديم كان يستخدم في الكتابة والفن لتمثيل كلمة"الحياة"،وبالتالي يعد كرمز للحياة نفسها، استمر استخدامه من خلال المصريين الأقباط الذين قاموا بتكييفه كصليب، كان شائعاً بشكل خاص في أيدي الآلهة، أو يتم منحه من قبلهم للفرعون، لتمثيل قوتهم في الحفاظ على الحياة وإحياء الأرواح البشرية في الحياة الآخرة، كانت واحدة من الزخارف الأكثر شيوعاً فى مصر القديمة عن أى علامة هيروغليفية أخرى، لذا ارتقى ذلك الرمز إلى أعلى درجات الأيقنة لكثرة تداولة بشكل كبير على مر الزمان.

وقد استخدم الرمز فى هذا الجزء من المعبد الزخرفة لأنه نقش فى الحائط الذى يوجد خلف باب المعبد، فعند فتح الباب على مصرعيه يتم حجب جزء كبير من الزخرفة لذلك لا يجب نقش الإله حتى لا يحجب الباب نقوش الإله احتراماً لهم ولمكانتهم.

فالرمز هنا عبارة عن نقش غائر بارز وقد تم وصفه بأكثر من شكل:

- يظهرفى شكل عقدة مكونة من مادة مرنة مثل القماش أو القصب، حيث تظهر النسخ الأولى من العلامة الشريط السفلي من العنخ كطولين منفصلين من المادة المرنة، مما يبدو أنها تمثل طرفي عقدة.
- والعلماء والأثريون لهم رأى علمى فى شكل مفتاح الحياة، حيث أجمعوا على أنه يمثل الدور المحورى لنهر النيل فى مصر، فالرأس البيضاوى يمثل منطقة دلتا النيل، والجزء الرأسى يمثل مسار النهر، أما الجزء الأفقى يمثل شرق البلاد وغربها اللذان يحتاجان لحماية المصرى لهما.
- غالباً ما يظهران جنباً إلى جنب معها صولجان وأس، وهو ما يمثل "السلطة" أو "السيادة"، وعمود جد ويمثل "الاستقرار"، كما يظهر فى الشكل رقم(5) مفتاح الحياة وبجواره من كلتا الجهتين أس.

التحليل الأيقونولوجى:

مفتاح الحياة هو رمز الحياة الأبدية عند المصريين القدماء، استخدمه المصريين القدماء كرمز للحياة بعد الموت،" فيرمز لحقيقة أن الإتحاد المثمر هو هبة من الله، أثناء أداء طقوس عباداتهم القديمة كانوا يقربونه من الوجه لكي يمنحوا الإنسان المزيد من الأنفاس التى تكسبه سنوات حياة جديدة سعياً منهم للخلود الأبدي، حمل المصريون القدماء مفتاح الحياة كتميمة، إما وحده أو مع اثنين من الطلاسم الأخرى التي ترمز للقوة والصحة، صنع قدماء المصريين مرايا معدنية على شكل مفتاح الحياة لأسباب زخرفية ترمز إلى وجهة نظر دينية، وضع قدماء المصريين نماذج معدنية لمفتاح الحياة على القبور بعد أن تصقل بالذهب أو النحاس كي ترمز للشمس".[19]

يتألف هذا الرمز من شكل أيقون يحمل ذات المعنى المجازي المتمثل فى الحياة بعد الموت وهو مفتاح الحياة، لم يستخدم مجموعة لونية واعتمد على خامة الحجر التى يتكون منها المعبد فى إظهار تفاصيل التصميم، نوع الفنان المصرى القديم فى الخطوط ما بين الخطوط الهندسية التى تتمثل فى الخط الرأسي والأفقى بالجزء السفلى من التصميم يعبر عن عنصري الحياة الذكر لثباته واستقرار واستناد المرأة عليه، حيث تتمثل الأنثى في الجزء العضوى الذى يوجد فى الجزء العلوى من تصميم الرمز.

التكرار المنتظم المتماثل بشكلى أفقى لرمز مفتاح الحياة وعلى جانبيه رمز أس بشكل متتالى نتج عنه أيقاع منتظم نتيجة لثبات

19 معلومات عن مفتاح الحياة عند الفراعنة (albawabhnews.com)

الوحدة والمسافات، وتظهر وحدة التصميم من خلال الرمز المعبر عن الحياة بعد الموت، اعتمد تكوين الرمز على السميترية.

أجاد الفنان المصرى القديم تحقيق الأتزان عن طريق ارتكاز الخط العضوى على الخط الرأسى والذى يعبر عن الصلابة والشموخ والعظمة، والخط الأفقى يعبر عن الثبات والهدوء والأستقرار، ونتج عن تلاقى الخط الرأسى مع الأفقى الأحساس بالتوازن لأنها لقاء بين قوتين متعارضتين.

ونشأ عن تماس نهايتى الأس بالرمز مفتاح الحياة من جهة اليمين واليسار ؟؟؟ ساعد فى إغلاق الفراغ حول التصميم.

الشكل_5) نقش بارز لمفتاح الحياة على أحد جدران معبد دندرة

نتائج البحث:

من خلال البحث السابق يستخلص الباحث مجموعة من النتائج التى تثرى مجال التصميم، حيث يدور البحث حول" الأيقونولوجيا وتناول الرموز فى معبد دندرة كمدخل لإثراء مجال التصميم"، وقد كانت أهداف البحث هى" تناول الأيقونولوجيا وأهميتها الوظيفية والجمالية فى دراسة الرموز فى معبد دندرة، وقد افترض الباحث أنه من خلال التحليل الأيقونولوجي للرموز في معبد دندرة يمكن استخلاص مداخل جديدة ثرى مجال التصميم وتتضمن نتائج البحث فى الآتى:

1. كانت الصياغات التشكيلية للرموز عند المصرى القديم صياغة مقدسة، فهى وسيلة لتدعيم الحقائق وسيلة للتعبير عن خصوصية الفن المصرى القديم ومعرفة مقصده من تلك الرموز.
2. كيفيات توظيف مفهوم الأيقونولوجيا في مجال التصميم.
3. فى الفن المصرى القديم تفاوت اهتمامهم حول تناولهم للرموز وكثرة تداولها بينهم، فختلفت الرموز الموجودة فى معبد دندرة باختلاف درجة الأيقنة.

المراجع:

1. بسّام الجمل ، باسم المكّي ، رؤوف دمّق : الرمز والصورة وأنتاج المعني , بحث مؤتمر دولي, كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بصفاقس, جامعة صفاقس ,.تونس,2018 .
2. بول ريكور: صراع التأويلات،ترجمة منظرعياشي،دار الكتاب الجديدة المتحدة،1969 .
3. رضا إبراهيم يوسف أبو الديب:"التوظيف الجمالى لشكل العين كدلالة رمزية فى الفن المصرى القديم كمدخل لإثراء مجال التصميم"،رسالة ماجستير،كلية تربية فنية،جامعة حلوان،2003،.
4. ريما عبد الرحمن شكري: "توظيف الرموز الأسطورية الفلسطينية في بناء التصميمات للفن التشكيلي الفلسطيني المعاصر"،رسالة ماجستير،كلية التربية الفنية،جامعة حلوان،2007.
5. سعيد بنكراد: السميائات"مفاهيمها وتطبيقاتها"،دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 2012م.
6. سيد عبد السلام السقا:"رموز الفن المصرى القديم كمدخل لأستحداث صياغات تشكيلية فى مجال النسيج اليدوى"،رسالة ماجستير،كلية تربية فنية،جامعة حلوان،2007.
7. شاكر عبد الحميد: التفضيل الجمالي (دراسة في سيكولوجية التذوق الفني)،عالم المعرفة،العدد 267،الكويت،2001م.
8. عساف الذهبى سيكلوجية الرمز،مجلة علم النفس ،مجلد الرابع،العدد الثالث،فبراير 1949.
9. محسن عطيه،التفسير الدلالى للفن،عالم الكتب،2007.
10. محمد كمال عريب طه:"اساليب التبسيط و الترميز في"مصطبة كا _جمني "بسقارة كمدخل لاثراء االصياغات التصميمية " رسالة ماجستير،كلية تربية فنية،جامعةحلوان، 2008.
11. نهى عبد المحسن على الخطيب ،محمد عز الدين :"الرمزية في فنون الطفل وبعض أعمال فنانين الكتاب القرن العشرين ",رسالة ماجستير,غير منشورة،كلية تربية نوعية،قسم التربية الفنية،جامعة المنصورة،1999.
12. وائل سيف الدين فريد رمضان:"مزج أشكال الكائنات فى الفن المصرى القديم والمعاصر (دراسة مقارنة)"،رسالة ماجستير،كلية تربية فنية،جامعة حلوان،2000.
13. Encyclopedia brilannica,William Benton,published,London,1973.
14. http://mustafa-66.blogspot.com/2017/08/blog-post_15.html
15. http://mustafa-66.blogspot.com/2017/08/blog-post_15.html
16. http://www.biddingtons.com/content/pedigreeicon.html
17. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%8A%D9%86_%D8%AD%D9%88%D8%B1%D8%B3
18. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%8A%D9%86_%D8%AD%D9%88%D8%B1%D8%B3
19. https://en.wikipedia.org/wiki/Iconology
20. https://www.askdifference.com/iconography-vs-iconology/
21. l'image medieval, naissance et vie'-xve' sie'cles, Me'ridiens de'veloppements klincksieck,Jean wirth,1989
22. www.eparanm.org.com